

الإخلاص □ بالقول والعمل



«الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة المرسلين. قال تعالى: (وَمَنْ أَوْحَسَنْ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (النساء / 125).

كان النبيؐ يستفتح الصلاة قبل قراءة الفاتحة بأدعية مختلفة مثل: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب".

المقصود هنا أن حياتي كلها وإليك يا رب.. بك يا رب حياتي ورزقي وقوتي ونعمي وتوفيقي وسعادتي.. لذلك إليك يا رب توجهي وعلمي ونيتي وقلبي وحياتي رجوعي وموتي. أي طالما الحياة بك فلا بد أن تكون إليك.

ثلاث كلمات فيها سر السعادة "أنا بك وإليك" مخلص في حياتي كلها لك يا رب..

أخلص في كل كلمة، في كل حركة.. عيش.. انور كل شيء في حياتك.. حوّل كل أهدافك في

الحياة لإرضائه فقط، بالنية.

لن أترك الدنيا.. لا.. سأمتلكها، لكن سأجعلها كلها لك وإرضائك: المال، الشهرة، المنصب.. كل ما أملك سيكون لك يا رب. سأخلص لك وأعيش لك.

- سأعمل وأنجح بنية نصره دينك وإصلاح أرضك.

- سأزوج لأسعد، لكن الأهم لأبني أسرة لحمدك.

- سأدرس وأتعلّم وأنجح ليعرف الناس أنّ المسلم ناجح.

- سأطلب الرزق والمال لأنفق وأساعد الناس وأحقق عزاءً كبيراً للإسلام.

- أنا منذ اليوم ☐ وحده.

- أنا منذ اليوم مخلص له وأعيش له.

كيف أُخلص؟

الإخلاص قرار ونية. وجّه البوصلة إليه. إنّه قرار بداخل عقلك، لا أحد يراه. أنت في كلّ الأحوال ستقوم بالأشياء نفسها في الوقت نفسه، لكن الفرق كبير. هي حياتك نفسها، لكن تخيل كمية الراحة والثواب.

أولادك لماذا؟ فلوسك لماذا؟ فعل خير، لمساعدة الفقراء والمحتاجين؟ الدرس والاجتهاد لماذا؟ التفوق لماذا؟ السيارة لماذا؟

تخيل معي كمية الثواب. والاستقرار النفسي عندما تعمل كلّ حياتك ☐ وحده.

تخيل كمّ السعادة. الإخلاص عبادة السعداء. ابن القيم - رحمه الله - يقول: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالسافر يملأ جرابه رملًا ويثقله ولا ينفعه".

- وما معنى الإخلاص؟

أن تقصد بقولك وعملك وحياتك كلها وجه الله وابتغاء مرضاته.. وقيل: هو أفراد الحق سبحانه بالقصد في كل التصرفات، في الحركة والسكون، في السر والعلانية.

وقيل: الإخلاص هو نسيان رؤية الخلق لك بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهداً إلا الله.

إذن، المعنى هو عمل من أعمال القلوب، بل هو في مقدمة أعمال القلوب، لأن قبول الأعمال لا يتم إلا بالله سبحانه وتعالى.

المعنى.. أن يكون دافعك لأي عمل في الوجود هو مرضاة الله عز وجل، في العبادات، من صلاة وصيام وحج وزكاة، وفي الحياة، من زواج وعمل ومال وأولاد وممتلكات.

الإخلاص هو أفراد الله بالتوجه والقصد.

السفينة في بداية رحلتها توجهت دفتها، ثم تتابع التوجه بالبوصلة. كذلك الإنسان، أول رحلته في الحياة هو التوجه بالإخلاص..

فَكَرَّ لِنَصْفِ دَقِيقَةٍ، وَخَذَ الْقَرَارَ بِأَنْ تَكُ تَنُوي كُلُّ مَا تَمْلِكُ مِنَ الْآنَ. تَتَوَجَّهُ الْآنَ (إِنَّ نَبِيَّ وَجَّهَتْهُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام / 79).

اسأل نفسك: هل أنت تعيش؟ هل أنت مخلص؟ والله ستعيش سعيداً لو كانت حياتك وحده، لا ينازعك أي شيء: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...) (البينة / 5).

(قُلْ إِنَّ نَبِيَّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) (الزمر / 11).

(إِنِّنَّا أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...) (الزمر/ 2-3).

- وللإخلاص فوائد...

الإخلاص يحفظك وينجيك ويرفعك عند الله بقوة.

الأنبياء ذكرنا الله عز وجل بإخلاصهم فقال: (إِنِّنَّا أَوْخَلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدِّينِ) (ص/ 46).

وأخبر عن يوسف (ع) أنه نجا من الفاحشة بإخلاصه (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّنَا مِنْ عِبَادِنَا الْأَمْخُلَاصِينَ) (يوسف/ 24).

وأخبر أن موسى بلغ منزلته العالية بإخلاصه: (وَإِذْ كُورُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّنَا كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) (مريم/ 51).

من سمات المخلصين عز وجل أن الشيطان لا يقدر على المخلصين: (قَالَ فَدَعِرْ تَرَكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْأَمْخُلَاصِينَ) (ص/ 82-83).

والإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده.

اجعل شعار حياتك هذه الآية: (قُلْ إِنِّي صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُفْرِتُ) (الأنعام/ 162-163)، وحديث النبي (ص): "أنا بك وإليك" ضعه في بيتك، لتتذكر دائماً أن توجَّه دفة قلبك، وبالتالي حياتك، إلى الله.

وهناك معنى جميل يضمن لك السعادة لو أخلصت. تفكّر في هذه الآية (وَسَيُجَنِّبُهَا الْاِتِّقَى * السَّذِي يُوْثِرِي مَالَهُ يُتْرَكَ كَيْ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى) (الليل/ 17-21).

وهناك معنى آخر جميل جداً^١ يحسبك بأنّ الإخلاص سعادة وراحة. الزوجة والمرأة أجمل حاجة يمكن أن تعتر بها.. إنّها مخلص لزوجها والرجل أنّّه مخلص لشغله. الزوجة تسعد جداً^٢ لما يشهد لها زوجها بأنّها سيدة مخلصه، أو تشهد الزوجة لزوجها بأنّه رجل مخلص. فما بالك عندما تكون مخلصاً^٣؟

وهناك معنى ثالث، أنّك لو أخلصت تفرح به ويسعدك. فالكون كلّّه مخلص^٤. إيّاك أن تتحرّك عكس اتّجاه الكون. تخيل سيارة عكس الاتّجاه. الكون كلّّه مخلص^٥. إيّاك أن تمشي عكسه.

الكون كلّّه عابد^٦، يسجد له ويسبح بحمده: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج/ 18).

الكون كلّّه عبارة عن مهرجان ضخم كبير هائل، من طيور وأشجار وأسماء ونجوم ومجرات، يسبّح^٧: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء/ 44).

فلماذا لا تشارك في هذه الكوكبية الكونية؟ لماذا تنعزل عن الكون وتكون وحدك في غربة؟ الغربة وحشة. شارك الكون في مهرجان التسبيح والعبادة، ولا تسر عكس اتّجاه الكون فتشقى وتصبح تعيساً. لا تذهب للفروع وتترك الأصل. لا تصادم الكون لأنّك ستتعب وتشقى. هذه بداية التعاسة، والإنسان الذي يسير في اتّجاه الكون هو أسعد من الذي يسير عكس الاتّجاه.

دعاء النبيّ^٨ عند الصباح: أصبحنا وأصبح الملك^٩.. سبحان^{١٠} وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه.

المالك هو^{١١}، ونحن نملك شيئاً^{١٢}. فأخلص حياتك لمن يملك كلّ شيء.

سُئل أعرابي يملك قطيعاً من الإبل: لمن هذه الإبل؟ قال: في يدي، وسُئل أب: كم عندك من الأولاد؟ فقال: 4 أولاد. نحن في الحقيقة لا نملك شيئاً^{١٣}. كلّ وصف الملكية هو: لا مالك إلا^{١٤}. بيتك وسيارتك وأولادك وأموالك^{١٥} في يدك. (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَزُوتَ وَلِيَّيْنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...) (يوسف/ 101). يجب أن تشعر وأنت تملك شيئاً^{١٦} من الدنيا أنّ في يدك ورقة ملكية البيت، وهذا البيت

ليس ملكك، بل الملك الحق، فأياك أن تعصاه في ملكه..

حكى عن أحد التابعين أنَّهُ قال: كان ابتداء توبتي أن رأيت غلاماً في سنة قحط يمرح زهواً والناس تعلوهم كآبة. فقلت له: يا هذا، ما هذا المرح؟ ألا تستحي؟ أما ترى ما فيه الناس من المحن؟ فقال: لا يحق لي أن أحزن ولسدي قرية مملوكة أدخر فيها كلُّ ما احتاج. فقلت في نفسي: إنَّ هذا العبد لمخلوق ولا يخاف لأنَّ لسيدة قرية مملوكة، فكيف يصح أن أخاف وأنا سيدي مالك الملك، فانتبهت وتبت.

أنتَ لا تملك لنفسك شيئاً. حتى النبيُّ (ص): قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً "قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِرِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ قَدِيرٌ".

ولتخيل الإخلاص المطلوب، إليك هناك مثل قرآني جميل (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ) (النحل/ 66). وخلوص اللبن ألا يكون فيه شائبة من دم أو فرث. تخيل لبناً يحلب تجد به أثر شائبة فرث أو دم. كذلك العمل. أخلص كخلوص اللبن النقي الخالص.

أبدأ من اليوم وقل: كلُّ ما أملك خالص لك يا ربَّ.

وأكثر من قولك: "اللَّهُمَّ اجعل صلاتي ونسُكي ومحبيَّاي ومماتي لك يا ربَّ العالمين". ►